

المستوى : السنة الأولى ليسانس	الموسم الجامعي: 2024-2025
المقياس: المدخل إلى الشريعة الإسلامية	الأستاذ: مّدّار توفيق

المحاضرة الثانية

خصائص الشريعة الإسلامية:

تمتاز الشريعة الإسلامية بخصائص ترفعها إلى أرقى درجة من العظمة والكمال لا يرقى إليها أي قانون

وضعي، وأهم خصائصها ما يلي:

أولاً: الربانية

بمعنى أن مصدر الشريعة هو الله سبحانه و تعالى، وهي قسمان

أ/ ربانية المصدر : أي أن أحكامها من عند الله تعالى فهو مصدرها

ب/ ربانية الغاية: أي أن أحكامها تهدف إلى ربط الناس بخالقهم، وبناء على ذلك يجب على المؤمن أن

يعمل بمقتضى أحكامها، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ

الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۚ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ 36. الاحزاب

وقال أيضا: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا

تَسْلِيمًا﴾ النساء (65)

وقد نتج عن خاصية الربانية عدة نتائج، أهمها:

1. خلو أحكام الشريعة الإسلامية من أي نقص، لأن شارعها هو الله صاحب الكمال المطلق.

2. عصمتها من معاني الجور والظلم تأسيسا على عدل الله المطلق.

3. قدسية أحكامها عند المؤمن إذ بها يجد في نفسه القدسية والهيبة تجاهها.

ثانيا: الشمولية :

و تتجلى خاصية الشمولية في أربعة أمور هي:

1. من حيث الزمان: بمعنى أنها شريعة لا تقبل نسخا أو تعطيلًا، فهي الحاكمة إلى أن يرث الله الأرض ومن

المستوى : السنة الأولى ليسانس	الموسم الجامعي: 2024-2025
المقياس: المدخل إلى الشريعة الإسلامية	الأستاذ: مّدّار توفيق

عليها.

2. من حيث المكان: فلا تحدها حدود جغرافية، فهي نور الله الذي يضيء جميع أرض الله.

3. من حيث الإنسان: فالشريعة تخاطب جميع الناس بأحكامها، لقوله تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ . الاعراف 158

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ الأنبياء: 107 .

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (1) سورة الفرقان .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (كان النبي يُبعث إلى قومه خاصة ويُبعث إلى الناس عامة) .

4. من حيث الأحكام: إن أحكام الشريعة تناولت جميع شؤون الحياة، فقد رسمت للإنسان سبيل الإيمان

وبينت شروط وتبعات استخلافه، وتخاطبه في جميع مراحل حياته، وتحكم جميع علاقاته بربه وبنفسه وبغيره .

ثالثا: التيسير و رفع الحرج:

ومن مظاهره قلة التكاليف التي فرضت على الإنسان، وإباحة المحظورات عند الضرورات، و يتجلى هذا

الأساس في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية منها قوله تعالى:

﴿ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾ البقرة 286

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ ﴾ الحج 78

﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ ﴾ المائدة 06.

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ ﴾ البقرة 185

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ (28) النساء

ويقول تعالى في وصف الرسول صلى الله عليه و سلم: ﴿... وَيُضْعِف عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَعْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ...﴾

﴿ الاعراف 157.

ويؤكد الرسول صلى الله عليه و سلم ذلك الأساس في أحاديث كثيرة منها: (يسروا ولا تعسروا) .

المستوى : السنة الأولى ليسانس	الموسم الجامعي: 2024-2025
المقياس: المدخل إلى الشريعة الإسلامية	الأستاذ: مدّار توفيق

وأوصى النبي صلى الله عليه وسلم اثنين من الصحابة قائلا: (يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا) .
وقال أيضا: (بعثت بالملة السمحة الحنيفية البيضاء) .
(إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه) .
(خذوا من العمل ما تطيقون، فإن الله لن يمل حتى تملوا) .
(هلك المتنطعون) هم المتشددون في غير موضع التشدد.
وحيثما سئل عن الحج: أفي كل عام يا رسول الله؟ قال: (لو قلت نعم لوجبت، ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم) وما سئل عن أمر في الحج إلا قال للسائل افعل ولا حرج.

وفي رواية: (فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم).
كما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم ما حُجِرَ بين أمرين إلا اختار أيسرها ما لم يكن آثما.

رابعا: التدرج في التشريع:

إن القرآن والسنة لم يأتيا جملة واحدة، بل استغرقا مدة الرسالة كلها، كما أن أحكامهما شرعت تدريجيا تحقيقا لحكم جليلة ورد بعضها فيما سبق، وتخفيفا على الناس، تماشيا مع فطرة الإنسان التي تتطلب التعامل معها التزام التدرج لتغييرها وحسن الارتقاء بها كما أن التدرج يتلاءم مع منهج التغيير بشكل عام، إذ لا يمكن تغيير أوضاع المجتمعات لتتفق مع الشريعة إلا بأسلوب التدرج، ويصدق هذا حتى مع المجتمعات الإسلامية التي يتفاوت التزامها بالشرع، ذلك أن (الواقع الإسلامي الراهن تتفاوت أوضاعه في القرب من هداية الشريعة والبعد عنها، فرب وضع لم ينحرف عنها إلا بمقادير طفيفة فيكون أخذه بالمعالجة الشرعية محققا للمقاصد المطلوبة، ورب وضع آخر ابتعد بعدا كبيرا وافتقد من الشروط التي تهين لانفعاله بالشريعة إذا طبقت عليه ما يجعل تنزيلها الفوري فيه مفضيا إلى حرج شديد يلحق بالناس...).

أمثلة عن التدرج :

آيات تحريم الخمر .

الصوم كان على الخيار ثم الوجوب.

المستوى : السنة الأولى ليسانس	الموسم الجامعي: 2024-2025
المقياس: المدخل إلى الشريعة الإسلامية	الأستاذ: مّدّار توفيق

الجهاد كان على الخيار . ثم أذن به

عمر بن عبد العزيز وقوله لابنه : "إن الله ذم الخمر في الأولى وحرّمها في الثالثة وإني أخاف أن أحمل الناس على الحق فيتركوه جملة فيكون من وراء ذلك فتنة أما ترضى من أبيك أن يحيي في كل يوم سنة ويميت بدعة " .

خامسا: تحقيق العدل بين الناس

فهذا من الأسس القوية التي يعتمد عليها التشريع الإسلامي، وقد تضافرت النصوص على ترسيخه؛ إذ نجد نصوصا تدعو إلى إقامة العدل، و أخرى تنفر من الظلم، فمن النصوص التي تدعو إقامة العدل ما يلي :

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ﴾

﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾

﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين... ﴾

﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو

أقرب للتقوى ﴾

ومن النصوص التي تنفر من الظلم ما يلي:

﴿ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾

﴿ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخّرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ﴾ .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم (الظلم ظلمات يوم القيامة):

(إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه

الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها).

سادسا: العالمية

إن المتتبع لأحكام الشريعة الإسلامية يتجلى له أن المراد منها تحقيق مصالح الناس، وهذا من مقتضيات

عمومية الشريعة و صلاحياتها لكل زمان ومكان، ومن النصوص التي تشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وما

أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾

المستوى : السنة الأولى ليسانس	الموسم الجامعي: 2024-2025
المقياس: المدخل إلى الشريعة الإسلامية	الأستاذ: مّدّار توفيق

﴿ ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين... ﴾ .
﴿ يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث. ﴾
﴿ هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون ﴾ ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾
ومن السنة النبوية قوله عليه الصلاة والسلام: (لا ضرر ولا ضرار).
وإباحته زيارة القبور، بعد أن كانت ممنوعة تحقيقاً لمصلحة: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزورها
فإنها تذكركم الآخرة).

ويستنتج من تلك النصوص أن (الشريعة مبناها و أساسها على الحكم و مصالح العباد في المعاش و
المعاد، و هي عدل كلها، و رحمة كلها، و مصالح كلها، و حكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل
إلى الجور، و عن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث ليست من
الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل...)

سابعا: الجمع بين الثبات والمرونة:

تجمع الشريعة بين عنصري الثبات والمرونة، ويتجلى الثبات في أصولها و كلياتها و قطعياتها،
وتتجلى المرونة في فروعها و جزئياتها وظنياتها، فالثبات يمنعها من الميوعة والذوبان في غيرها من الشرائع،
والمرونة تجعلها تستجيب لكل مستجدات العصر.

ثامنا: الواقعية: فالشريعة الإسلامية ليست نظريات مثالية بعيدة عن واقع الناس ، وإنما جاءت لتعالج
قضايا الإنسان المختلفة وترتب علاقاته مع الله ومع نفسه ومع الناس .

تاسعا : الوسطية والاعتدال:

التشريع الإسلامي وسطي والوسطية تعني التوازن بين طرفي الإفراط والتفريط والغلو والتقصير لا تخرج معاني
الوسطية عن :العدل والفضل والخيرية، والنّصف والبينية، والتوسط بين طرفين، فقد استقر عند العرب أنهم إذا
أطلقوا كلمة (الوسط) أرادوا معاني :الخير والعدل والنّصف، والجودة والرفعة والمكانة العالية.

المستوى : السنة الأولى ليسانس	الموسم الجامعي: 2024-2025
المقياس: المدخل إلى الشريعة الإسلامية	الأستاذ: مدار توفيق

وإن الوسطية سمة ثابتة بارزة في كل باب من أبواب الإسلام: في الاعتقاد، والتشريع، والتكليف، والعبادة، والشهادة والحكم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، والأخلاق والمعاملة، وكسب المال وإنفاقه، ومطالب النفس وشهواتها..

الوسطية في العبادات : وهذه الوسطية في العبادة في كل جوانبها ممّا رَغِبَ المسلمون في إسلامهم؛ إذ دَفَعَ عنهم الملل، ووافق الفطرة والطَّبْعَ السَّهْلَ المُيسِّرَ، والنَّفْسُ تهوى ما كان سهلاً مُيسِّراً، وتمقّتْ ما كان صعباً مُتكلِّفاً قال النبي صلى الله عليه وسلم: "... يا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّا كُمْ وَالْعُلُوُّ فِي الدِّينِ؛ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْعُلُوُّ فِي الدِّينِ".

الوسطية في المعاملات

توسطت الشريعة الإسلامية في شأن المعاملات؛ سواء كانت عقوداً مالية أو أنكحة، أو أحكاماً وأقضية، أو غيرها مما يتعامل فيه الناس مع بعضهم البعض، وسوف نقتصر هنا على بعض أحكام العلاقات الأسرية بإيجازٍ شديد؛ للتدليل على هذه الوسطية. الإسراف والتقتير.